لا كانوا مستفظيه فصاحة القرآن متعجبين منها . بل كانه تعجبهم منه تعذر مثله عليهم بعد أنه كانه مقدورا لهم . كيف وقد قال الله تعالى "قل لئن اجتمعت الأنس والجن الآية" فأنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم . ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى ومثله لا قيمة له . والإجماع منعقد على أضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة أعجاز . والقول بالصرفة يلزم أضافة الإعجاز إلى الله لا إلى القرآن .

ومنهم من قال أنه الإعجاز في مخالفة أسلوبه أسلوب الشعر والخطب والرسائل ولا سيما مقاطع الآيات مثل يعلمون ويؤمنون . وهذا باطل لأنه يلزم أن يكون قول مسيلمة أنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر وقول الطاعنين فيه في أعلى مراتب البلاغة .

ومنهم من جعل الإعجاز في أنه ليس فيه اختلاف وتناقض . وهو غير مقبول لأنه التحدي لما وقع بالقرآن كله وقع بالسورة . وقد يوجد في خطبهم مقدار سورة الكوثر ولا يكون فيه اختلاف وتناقض .

ومنهم من رأى أنه الإعجاز في اشتماله على الغيوب . وهو غير سديد لأنه التحدي وقع بكل سورة والإخبار عن الغيوب لم يكن في كل سورة .

لقد بطلت هذه المذاهب فلم يبق وجه معقول في الإعجاز سوى الفصاحة . ليس أعجاز القرآن لأنه حكاية عن الكلام القديم لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة السابقة على القرآن معجزات في التأليف وظاهر أنه الأمر ليس كذلك .

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)